نقاط حول السياسة الثقافية لحكومة عرابي... مستقبل المسرح العربي في مايو ١٨٨٢

آدم ميستيان

جامعة أوروبا الوسطى

بودابست، المجر

معلومٌ أن العلاقات بين المسرح العربي والسياسة كانت متينة ومختلطة في القرن التاسع عشر. وحوالي نهاية سنة ١٨٨١ أو بداية ١٨٨٢ جدَّد سليمان قرداحي –وقد يكون زميل نقاش– التشخيص العربي، وتضمّن بعض المصريين أيضًا مثل الشيخ سلامة حجازي من يغنّى ويشخّص في كل المسرحيات.

ومن أهم الباحثين الذين يركزون على تاريخ المسرح العربي في مصر محمد يوسف نجم[١] ومن بعده فيليب سادجروف[٢] ثم سيد علي إسماعيل[٣].لقد لاحظ نجم وسادجروف [٤] أنه في أبريل ١٨٨٢ كان سليمان قرداحي وفرقته العربية قد نجحت نجاحًا عظيمًا في دار الأوبرا الخديوية، وأيضا في الإسكندرية[٥].

وأنا أحاول في هذا المقال الصغير تحيل ما حدث في أثناء أبريل ومايو ١٨٨٢ بالنسبة للمسرح العربي في الشكل العام وبالنسبة للمشروعات الثقافية بصفة خاصة، معتمدًا على بعض الوثائق التي وجدتها في دار الوثائق القومية.

وإني أقول إنه بالرغم من الفترة الصغيرة لحكومة عرابي (فبراير ١٨٨٢ – مايو ١٨٨٢) يمكن أن نجد الأعلام الأولى لتأسيس السياسة الثقافية العربية المصرية الرسمية في العناية بالمسرح العربي . وهكذا بدأت السياسة الرمزية الوطنية في مصر.

١– أرباب المسرح العربي في مصر خلال ربيع ١٨٨٢

وكما أثبت كل الباحثين[٦] فإن سليم نقاش وفرقته العربية السورية (التياترو العربي) بدأت نشاطها في مصر في ديسمبر ١٨٧٦، مع أديب إسحاق، ولكن كليهما انقطع عن عمل المسرحيات عاجلاً. وأخذ يوسف خياط (قد يكون أصلاً ممثلاً من فرقة نقاش أو خياط) رئاسة الفرقة بين خريف ١٨٧٧ وشتاء ١٨٨١ ولكن الخديو إسماعيل والخديو توفيق والحكومة لم يدعموه دعمًا ماديًا ثابتًا. مع ذلك بدأ بعض المثقفين المصريين التجارب المسرحية أيضًا في نهاية السبعينيات، ومنهم من حاول إحياء مسرح يعقوب صنوع في ١٨٧٧ للمرة الثانية وكتب مسرحياته عبد الله نديم الأديب المشهور.

وفي أثناء تلك الحركة الأهلية والوطنية عُيَّن الخديو توفيق محمود سامي رئيس مجلس النظار وأحمد عرابي ناظرًا للحربية كما معروف وسمي هذا المجلس مجلس النظار

(حكومة عرابي) ولكن الناظر الأهم ثقافيًا في هذه الحكومة كان محمود فهمي ناظر الأشغال العمومية؛ لأن هذه النظارة كانت تتولي المسارح الخديوية (المقصود: دار الأوبرا الخديوية، والكوميدي، ومسرح الأزبكية الصغير) مع لجنة التياترات[٧]. ومن الجدير بالذكر أن ناظري الأشغال في العام السابق (١٨٨١) – علي مبارك وإسماعيل عيوب – ساعدا المسرح العربي ليوسف خياط، وقد نظرا إلى مسرح الكومدي كمكان لأفراد المسرح العربي. وبدأت الفرق السورية والسورية–المصرية تستخدم كلمة (الوطني) في إعلاناتها؛ لأن هذه الكلمة ومعانيها قد تساعدها في الحصول على نفقة من الحكومة (الوطنية).

و لذا وُجِدَ في مصر ثلاث شخصيات مهمة للمسرح في ربيع ١٨٨٢ : سليمان قرداحي ويوسف خياط وعبد الله نديم.

٢- سليمان قرداحي وفرقته في دار الأوبرا في أبريل/مايو ١٨٨٢

ومن تلك الأشخاص الثلاثة نجد سليمان قرداحي هو الذي كان يجتهد في بداية ١٨٨٢ للحصول على تصريح لاستخدام دار الأوبرا لمدة ثمانية ليالٍ مسرحية خلال أبريل ١٨٨٢. وأول من بحث وكتب التفصيلات حول هذه المسلسلة المسرحية بصفة خاصة كان سادجروف معتمدًا على الصحف المعاصرة[٨]. ولكن توجد في دار الوثائق القومية بعض الوثائق الحكومية التي تساعدنا كي نفهم نية النظار.

ولقد قدّم قرداحي طلبه إلى نظارة الأشغال العمومية في ٢٥ مارس ١٨٨٢. ومن الواضح أن في شهر مارس أرادت الحكومة (قد يكون الناظر محمود فهمي) دعم التشخيص العربي؛ لأن قرداحي قد كتب في رسالته "ولعلمي عناية الحكومة بإحياء هذا الفن الجليل"[٩]. ومن الجدير بالذكر أن تبحث الحكومة في نفس الوقت (فبراير

١٨٨٢) على مستأجر لدار الأوبرا للموسم التياتري القادم، وتم ترشيح ثلاثة عروض من الأوروبيين (فيلكينسون ، باراوي ، ولاروز، وهو مفتش الملبوسات ومدير المسارح في الموسم ١٨٨٢/١٨٨١)[١٠]. والعقد الذي كان بين كل من باراوي والناظر محمود فهمي المؤرخ ١٨ مارس ١٨٨٢ يحتوي على ملاحظة مهمة تتعلق باستخدام الكوميدي كمسرح عربي[١١]. وفي الحقيقة قد احتوى أيضًا العقد السابق للمواسم ١٨٨١/١٨٨٠ و١٨٨٢/١٨٨١ بين لاروز والناظر علي باشا مبارك المؤرخ أولاً ١٥ أغسطس ١٨٨٠ على هذه الإشارة[١٢]. وهذه النقطة تدل على وعي النظار لتحويل الكوميدي إلى مسرح عربي. ولكن في مارس ١٨٨٢ حصل قرداحي على الرخصة لدار الأوبرا، وهذا الترخيص لاستخدام المسرح الأفخر في مصر، وهو المسرح الرسمي للدولة، والذي يدل على أهمية التشخيص العربي في السياسة الرمزية العامة.

وهنا لا أقصد أن أعطى التفاصيل الفنية فيما يخص مسرحيات قرداحي[١٣] بل أريد أن أخبر الجمهور بالوثيقتين.

٣- مستقبل المسرح العربي في مايو ١٨٨٢

لقد نجح قرداحي نجاحًا جليلاً في دار الأوبرا مع فرقته (أوبرا عربي) وكان هذا المسرح غنائيًا[١٤]، وكانت الأوبرا حافلة بالناس في كل ليلة، حتى حضر أحمد عرابي تلك المسرحية (فرسان العرب) في ٣٠ أبريل ١٨٨٢[١٥]، ويصبح حضور عرابي في تلك الليلة معنى رمزيًا.. وبالإضافة إلى ذلك قام سليمان قرداحي بعد المسرحية بالشكر على خشبة المسرح لدعم الحكومة وخاصةً عناية عرابي. والمعنى الرمزي والسياسي لهذا الحدث كان أكبر وأشد؛ لأنه خلال شهر أبريل (١١ أبريل ١٨٨٢) أُكْتُشِفَ التآمر ضد عرابي، ومن خلال خشبة المسرح وفي القاعة عَبَّر الناس عن

تأييدهم لعرابي. والواضح أن المسرح العربي في هذه اللحظة كان يجسّم القوة الأهلية للجمهور.

وغالبًا أن الناظر محمود فهمي أو عرابي قد اعترفا بفائدة هذا المشروع مبكرًا وأصبحت نيتهم معروفة لدى الجمهور. ولا شك أن خبر رخصة قرداحي قد وصل ليوسف خياط وهو في الإسكندرية. ويوجد طلب لخياط في دار الوثائق مؤرخًا بـــ١٠ أبريل ١٨٨٢، وما قدّمه مع عبد الله نديم (من مدح عرابي في جورناله "الطائف") ونص الطلب هو:

أشغال عمومية، ناظري سعادتلو أفندم حضرتلري

في علم سعادتكم أن فن تشخيص الوقائع التاريخية وغيرها المسمى بالتياترو من الأسباب المنورة للأفكار المروحة للنفوس، وقد اعتنت به الدول العظيمة سعيا في إحياء أفكار الأمة وتصوير عبارات المواعظ والإرشاد بصورة مشهد الأحوال، إلا أن كل أمة اجتهدت في وضع روايات من تاريخها بلغة قومها مع بعض وقائع الأمم المغايرة لها لسهولة الفهم وتمكن الأمة من فهم المقصود من الرواية، وإلى الآن لن تشكل فرقة مصرية تتقدم بين الأمة المصرية بلغتها المألوفة واصطلاحاتها المعروفة، ولهذا عزمنا على تقديم أربعين ليلة في هذا العام نشخص فيها روايات تناسب الزمان وأهل المكان بالعبارة العربية المصرية في التياترو الفرنساوي الصغير، فإذا وافق تصدر لنا الرخصة من الآن للاستعداد في هذه المدة حتى إذا وافي نوفمبر ١٨٨٢ ابتدانا بالعمل مدة خمسة أشهر لغاية مارث ١٨٨٣ بحيث لا نكلف الحكومة بشيء سوى الملابس والمكان، ونرغب التصريح بهذين مع الأدوات اللازمة للتشخيص من أدوات التياترو كما نرغب من الديوان أن لا يصرح لخلافنا بالتشخيص في مدة الخمسة أشهر إلا باتفاقه معنا أفندم .

كاتبه	كاتبه
عبد الله نديم	يوسف خياط[١٦]

وهذه الوثيقة أخبرتنا بالمشروع الأول لموسم مسرحي عربي كامل في القاهرة وأيضًا بطلب خياط ونديم حق الامتياز لجوقهم، وهذا يعني أنهم ضد فرقة قرداحي. ولا توجد معلومات أخرى حول هذا المشروع إلا أن لجنة التياترات نظرت فيه وبعد ذلك كان الطلب يقدّم إلى جلسة مجلس النظار في ٧ مايو ١٨٨٢. وما أكتمل هذا المشرع أبدًا بل بقى واحدًا من آمال المستقبل المحتملة للمسرح العربي المصري.

وقد كان يقدم طلبًا آخر في جلسة مجلس النظار في ٧ مايو ١٨٨٢ من خلال قرداحي. ومن الثقة أن سليمان قرداحي تحدث مع الناظر محمود فهمي خلال مدة امتيازه في أبريل وأنه كان مشجّعًا بحضور عرابي في "فرسان العرب" في ٣٠ أبريل. وهكذا قدّم قرداحي وثيقتين إلى نظارة الأشغال العمومي : رسالة إلى الناظر وكشف المصاريف يسمى"بيان المصاريف المقتضية لنفقة الجوق العربي، وعدد أشخاصه وذلك على حساب خمسة أشهر يبتدي العمل في نوفمبر ١٨٨٢ في تياترو الكمديا الفرنساوي يقدم خمسة عشر رواية مختلفة المواضيع بين أوبرا وكوميديا على خمسين ليلة يقدم ثلاث ليالي في الجمعة".

و الواضح أن قرداحي قد التمس نفس الفترة ونفس المكان مثل نديم وخياط ونص رسالته ما يلي:

أشغال عمومية ناظري سعادتلو أفندم، حضرتلري

غير خفي عن سعادتكم ما في الروايا من الفوائد الأدبية لكل أمة فإن الروايات، ولا أزيد سعادتكم بها علمًا، تعد من أسباب النجاح ووسائل التمدن إذ هى مرآة للأحوال وميدان لفرسان الأفكار، بل هي مدرسة للشعب يتعلم فيها ما لا يعلمه من الآداب ويتناول منها الجد في معرض الهزل فالروايات، ولا أزيدها تعريفًا من أهم المسائل لتهذيب العقول وهي ألف مهذب وأحسن مؤدب، وهي بستان يانع بالآداب ثماره دانية القطوف لكل إنسان، ولقد حملتني الغيرة على هذا الفن الجميل إلى محاولة نقله إلى اللغة العربية

وإتقانه حتى نستغني به في لغتنا عنه في اللغات الأجنبي،ة فشمرت لهذه الغاية عن ساعد الجد والاجتهاد وبذلت لها الدرهم والدينار غير مشفق على نفسي ولا راحم مالي حتى أنفقت على ذلك كلما أحرزته بالتعب والجد وكنت على ثقة من أن الحكومة السنية أيدها الله أو تمد لي يد المساعدة لما أعهد في ولاة الأمور من الغيرة على الأدب والرغبة في إحياء هذا المشروع المفيد ورفع منابره فلاعتقادي ذلك لم آسف على بذل النفس والنفيس، ولم أخش من الرجوع بالخيبة فألّفتُ جوقًا عربيًا وطنيًا للتشخيص صرفت العناية في سبيل انتقاء أفراده من كل ذي لباقة وأهلية للاشتغال في هذا الفن الجليل من حيثية الإجادة في التمثيل وحسن الصوت وعذوبة الألفاظ وما شاكل ذلك مما هو لازم ضروري لكل مشخّص فجاء والحمد لله بغاية في الإتقان وقد شهدت سعادتكم حفظها الله بذلك وكفاني بهذه الشهادة جزاءً على أتعابي ولم تكن الروايات التي شخصتها إلا أنموذجا لما أنا عازم إن شاء الله على تشخيصه في المستقبل من الروايات المنتخبة المنتقاة مما يوافق أذواق أهل البلاد ويفيد الجمهور ويكسبنا رضا ولاة الأمور وسادة القوم، ويفيد الجمهور ولا أقتصر على عدد المشخصين، بل لا بد من زيادة عددهم وتحسين الأحوال من كل وجه كتنغيم موسيقى عربية وما شاكل ذلك حتى يبلغ عدد المشخصين ثلاثين نفرًا وعدد المشخصات خمسة عشر واحدةً وعدد من الخدم والحشم والتابعين ورجال الموسيقى، ولكن لا بد لي في كل ذلك من مساعدة سعادتكم خصوصًا ومساعدة النظار الفخام وأمراء البلاد وكرامها ولا غني لي البتة عن ذلك إذ بدون أنظار سعادتكم وعضدكم لا أبلغ الغاية التي أريدها ولا ينجح المسعى، فأنا ألتمس من سعادتكم أن تمدني بيد العناية والمساعدة وتشملني بنظرها، ولست في ريب من ذلك لما أعهد في سعادتكم من الغيرة والرغبة في مساعدة كل مشروع منه فائدة عمومية وسعادتكم أولى بكل جميل وفضل وأنا رافعٌ إلى سعادتكم مع هذه العريضة بروغرام أبين فيه ما ليس من عني عن تبيانه لأحيط سعادتكم علمًا بما هنالك والذي أساله وأرجوكم به هو تخصيص ألفين جنيه في مقابلة المصاريف التي يستلزمها هذا المشروع، وأبواب صرف هذا المبلغ ظاهرة مبينة في البروغرام فيتضح منه لسعادتكم كيفية صرفها ولزومها والأمر أمركم أفندم ، كتبه بيده سليمان قرداحي[١٧].

وتعني هذه الرسالة المستقبل الثاني المحتمل للمسرح المصري في مايو ١٨٨٢. ولا يكفي لقرداحي الرخصة أو المكان بل كان يريد نفقة كبيرة لجوق عربي عظيم، وإذا كان غرضه قد أصبح حقيقةً لكان قد أسس المسرح المصري الأكبر.

إن المشروعان يحتويان على بعض النقاط المهمة.

أولاً– ألاحظ كليهما كلهما يقدمان المسرح كشيء مهم جدًا للتقدُّم الحديث وكوسيلة مفيدة في تعليم الشعب المصري.

ثانيًا – لهذا السبب كان خياط ونديم وأيضًا قرداحي كلهم يريدون إعطاء برهان على أنهم وطنيون.

ثالثًا – أنهم تنافسوا مع بعضهم البعض لأنهم طلبوا نفس المسرح في نفس الفترة. وأخيرا قُدِّمَ الطلبان سويًا في نفس جلسة مجلس النظار في ٧ مايو ١٨٨٢ وليس هناك معلومات حول هذه الجلسة حتى الآن.

وأن الثورة والاحتلال الإنجليزي دمرا المشاريع الثقافية الوطنية من إحياء المسرح العربي في مصر حتى ١٨٨٤/١٨٨٥.

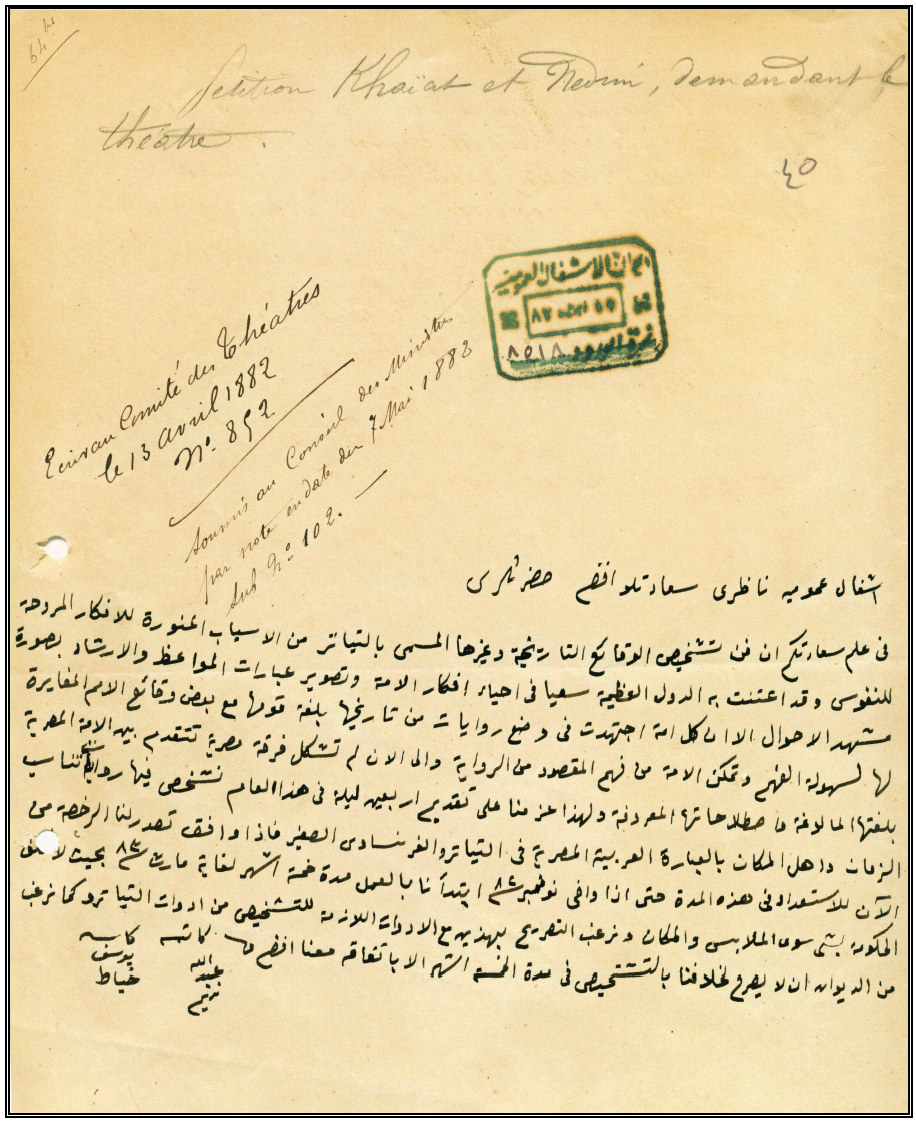

Section Khaïat et Nedrni, demandant le théâtre.

40

Reçu au Comité des Théâtres le 13 avril 1882 N°. 852

Soumis au Conseil des Ministres par note en date du 7 Mai 1883 sub N° 102.

حضرة بك

اشفال عمومية ناظرى سعادتلو افندم

فى علم سعادتكم ان من تشخيص الوقايع التاريخية وغيرها المسمى بالتياترو من الاسباب المنورة للافكار المروحة للنفوس وقد اعتنت به الدول العظيمة سعيا فى احياء افكار الامة وتصوير عبارات المواعظ والارشاد بصورة مشهد الاحوال الاتى لكل امة اجتهدت فى وضع روايات من تاريخها بلغة قومها مع بعض وقايع الامم المغايرة لها لسهولة الفهم وتمكن الامة من فهم المقصود من الروايات والى الان لم تتشكل فرقة مصرية تتقدم بهذه الامة المحترمة بلغتها المالوفة ما عطلها تراثها المعروف ولهذا حثنا على تقديم اسبابه لديكم فى هذا العام نشخص فيها روايات تناسب الزمان داخل المكان بالعبارة العربية المصرية فى التياترو الخديوى الصغير فاذا وافق تصديقنا الرخصة من الآن للاستعداد فى هذه المدة حتى اذا وافى نوفمبر شهر ابتدأنا بالعمل مدة ستة اشهر لغاية مايو سنة ٨٣ بحيث لا تعطل الحكومة بحق سوء الملابس والمكان ونرغب التصريح بهذه الروايات الآتية للتشخيص من ادوات التياترو كما نرغب من الديوان ان لا يعرج لخلافنا بالتشخيص فى مدة الستة اشهر الا باتفاقه معنا افندم

كاتبه
يوسف خياط

بطبيه
نجيب

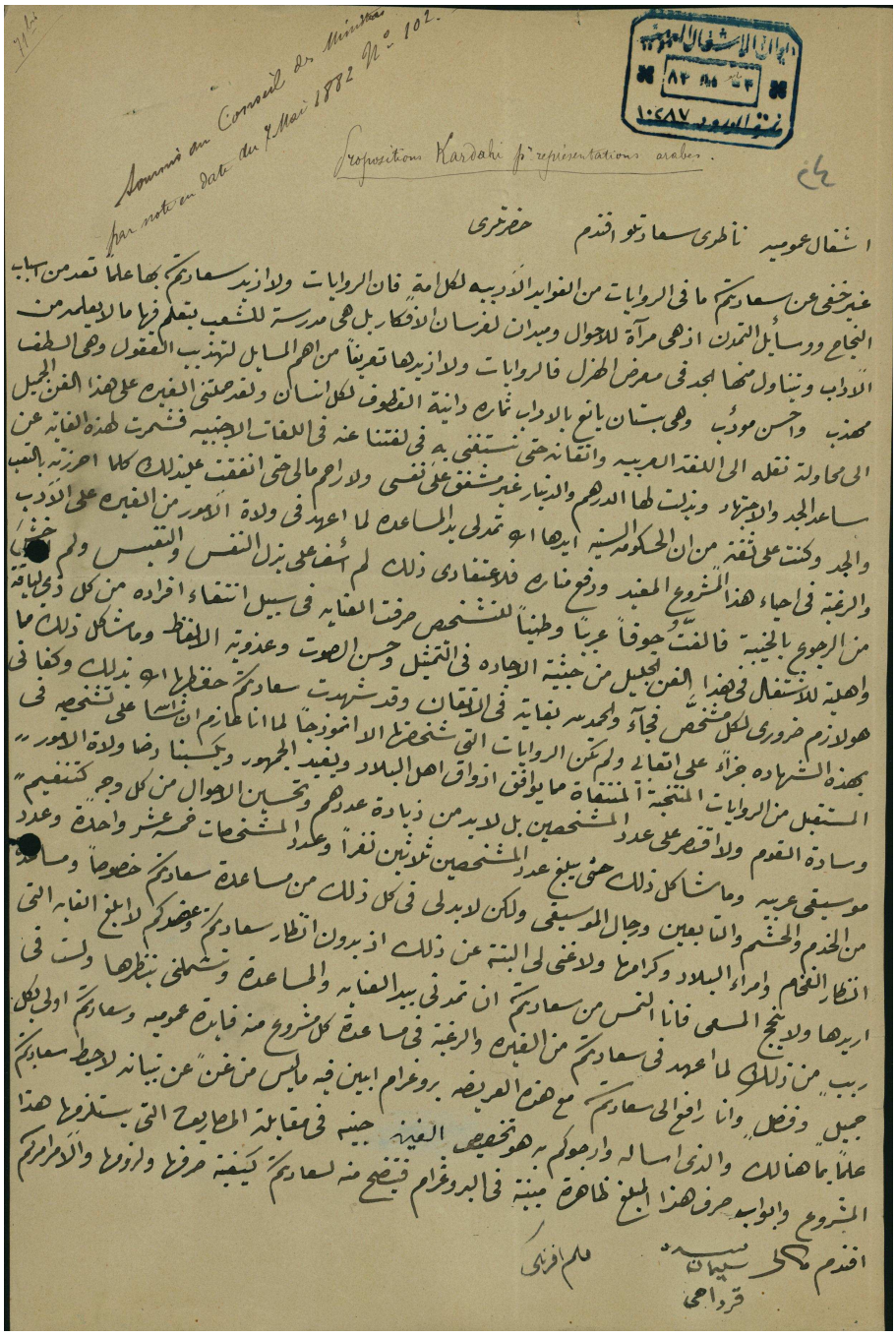

Annexé au Consul de Ministère
par note en date du 7 Mai 1892 N° 102.

Propositions Kardahi pour représentations arabes.

اشغال عموميه ناظري سعادتلو افندم حضرتري

عبد خفي عن سعادتكم ما في الروايات من الفوايد الادبيه للعامة فان الروايات ولا ازيد سعادتكم بها علما تعد من اسباب النجاح ووسائل التمدن اذ هي مرآة للاحوال وميدان لفرسان الافكار بل هي مدرسة للشعب يتعلم فيها ما لا يعلمه من الآداب ويتناول منها الجد في معرض الهزل فالروايات ولا ازيدها تعريفاً من اهم المسايل لتهذيب العقول وهي اللطف مهذب واحسن مؤدب وهي بستان يانع بالاداب ثمار دانية القطوف لكل انسان ولقد حملني الغيض على هذا الفن الجميل الى محاولة نقله الى اللغة العربيه واتقانه حتى استغني به في لغتنا عنه في اللغات الاجنبيه فشمرت لهذه الغاية عن ساعد الجد والاجتهاد وبذلت لها الدرهم والدينار غير مشفق على نفسي ولا راحم مالي حتى انفقت عيدلك كلما احرزته بالتعب والجد وكنت على ثقة من ان الحكومة السنيه ايدها الله تعدل بد المساعدة لما اعهد في ولاة الامور من الغيض على الادب والرغبة في احياء هذا المشروع المفيد ودفع مناره فدعتني ذلك لم اشفق على بذل النفس والنفيس ولم اخش من الرجوع بالخيبة فالفت جوفاً عربيًا وطنياً للشخص حرفة الغايه في سبيل انتفاء افراده من كل ذي لياقة واهلية للاشتغال في هذا الفن الجميل من جهتي الاجاده في التمثيل وحسن الصوت وعذوبة اللفظ وما شاكل ذلك مما هو لازم ضروري لكل شخص فجاء والحمد لله بغايته في الاتقان وقد شهدت سعادتكم حفظكم الله بذلك وكفا في بهذه الشهاده جزاء على اتعابي ولم يكن الروايات التي شخصتها الا انموذجاً لما انا عازم ان انشيه على تشخيصه في المستقبل من الروايات المنتخبة المستحسنة ما يوافق اذواق اهل البلاد ويفيد الجمهور ويكسبنا رضا ولاة الامور وسادة القوم ولا اقتصر على عدد الشخصين بل لابد من زيادة عددهم وتحسين احوال من كل وجه كتنفيم موسيقى عربيه وما شاكل ذلك حتى يبلغ عدد الشخصين ثلاثين نفراً وعدد الشخصات خمسة عشر واحدة وعدد من الخدم والحشم والتابعين ورجال الموسيقى ولكن لابد لي في كل ذلك من مساعدة سعادتكم خصوصاً ومساعدة انظار الفخام امراء البلاد وكرامها ولا غنى لي البتة عن ذلك اذ بدون انظار سعادتكم وعضدكم لا ابلغ الغاية التي اريدها ولا انجح المسعى فانا التمس من سعادتكم ان تمدني ببد الغايه والمساعدة وشملني بنظرها ولست في ريب من ذلك لما اعهد في سعادتكم من الغيض والرغبة في مساعدة كل مشروع منه فايدة عموميه وسعادتكم اولى بكل جميل وفضل وانا رافع الى سعادتكم مع هذه العريضه برو غرام ابين فيه ما ليس من غنى عن تبيانه لاحاطة سعادتكم علما بما هنالك والذي اسأله وارجوكم به هو تخصيص الغيض جنيه في مقابلة المطابع التي ستطبع هذا المشروع وابواب حرف هذا البلغ ظاهرة مبينة في البرو غرام فتضع منه لسعادتكم كيفية حرف ولزوم والامر لكم افندم

قرداحي

هوامش البحث

١– محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠[١٩٥٦]).

2- P.C. Sadgrove, The Egyptian Theatre in the Nineteenth Century, 1799-1882 (Cairo: AUC, 2007 [1996]). 2

٣– سيد علي إسماعيل، تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٥ [١٩٩٨]).

٤– نجم، ١٠٧–١٠٨ وSadgrove، ١٥٦–١٦٠. وغريب جداً أن سيد علي إسماعيل لا يذكر هذا النجاح شيء في كتابه.

٥– Sadgrove، ١٦٠.،

٦– نجم، ٩٦ وSadgrove، ١٢٧.

٧– لجنة التياترات (des Théâtres Comité) كانت مسئولة عن أمور دار الأوبرا والمسارح في الأزبكية من سنة ١٨٨١ حتى ١٩٠٠. انظر التفاصل في رسالة الدكتورة لي (سياسة المسارح الغنائية في القاهرة وإسلامبول، ١٨٦٧–١٨٩٢. جامعة أوربا الوسطى، بودابست، ٢٠١١).

8- Sadgrove ،156- 160.

٩– وثيقة عربية في دار الوثائق القومية. ديوان الأشغال العمومية، الكود الأرشيفي ملف ٠٣٧٨٤٧–٤٠٠٣.

١٠– وثائق مختلفة في دار الوثائق القومية. في النظام القديم : مجلس الوزراء – نظارة الأشغال – محفظة ١/٢. في النظام الجديد الالكتروني: مجلس النظار والوزراء – الكود الأرشيفي ملفات ٠٣٣١٩٤–٠٠٧٥ – ٠٣٣١٣٩–٠٠٧٥. انظر كتاب سيد علي إسماعيل من أول مرة نشر هذه المحفظة.

١١– راجع: السابق.

١٢– راجع: السابق.

١٣– انظر Sadgrove، ١٥٦–١٦٠.

١٤– الأهرام، ٢٨ مارس ١٨٨٢، ٢–٣.

١٥– الأهرام، ٢ مايو ١٨٨٢، ٢.

١٦– وثيقة عربية في دار الوثائق القومية. ديوان الأشغال العمومية، الكود الأرشيفي ملف ٠٣٧٨٤٧–٤٠٠٣.

١٧– راجع: السابق.